نشاط الشعر والشعراء في عصر الدول والإمارات

(في عصرَ ليبيا)

Mohammad Zainal Hamdy, Qorinatul Insiyah, Moh. Alawi
قسم اللغة العربية وآدبها جامعة دار العلوم بانيو أنيار لعلوم اللغة العربية باميكاسان
Hamdyhernandez14@gmail.com

الملخص

هذه ستحدث عن تا ريخ الآدب العربي قبل العصر الحديث خاص ليبيا وتنس، اسم "ليبيا" نشأت في اللغة المصرية "ليبو"يشير إلى البربر الذين يعيشون على الجانب الغربى من هنر النيل، اليونانية باسم"ليبيا" في عصر اليونانى القديم، كلمة لها معنى أوسع، تغطي كامل شمال أفريقيا على الجانب الغربى من مصر، وأحيانا في جميع أنحاء القارة الأفريقية. تولى الملك إدريس الأول رئاسة الحكومة. إيطاليا أخذت ليبيا من العثمانيين(تركيا) وجعلها أرض ذات سيادة. أن استسلمت إيطاليا إلى الخلفاء فى الحرب العالمية الثانية، بلد سمال أفريقيا على الحدود مع البحر الصين الجنوبي حصلت على استقلالها. ليبيا أو ليبيا تقع في منطقة المغرب العربى في شمال إفريقيا. ليبيا هي غنية في الموارد البحرية في أوتارا، تيمور، تنغارا السودان وسيراتان وتشاد والنيجر، بهارات، زائير وتونس.

الكلمات المفتاحية: الشعر، الشعراء، الدول والإمارات

المقدمة

تونس بلد في شمال أفريقيا. من وجهة نظر فلكية، فإن البلدان الواقعة بين ٣٠ درجة–٣٨ درجة لو و ٧ درجة–١٢ درجة بريتيس تيليكوم تقتصر على الجزائر فى الغرب وليبيا في الجنوب، في حين أن شمال وشرق البحر الأبيض المتوسط. اسم تونس يأتى أساسا من المدينة التى هي الآن عاصمة لها، وهي مدينة تونس على الساحل الشرقي لتونس. تاريخيا، كانت تونس تسكن القبائل البربرية القديمة التى حكمت المملكة الرومانية في ١٤٩ قبل الملاد، وأدخلت المسيحية والفنون المغمارية. ولكن في القرن الأول من كحماء، غزا العرب البلاد، ثم في ١٥٣٤–١٨٨١(حوالى ٣٠٠ سنة) من قبل الدولة العثمانية، أكبر إمبراطورية مسلمة. بعد

سقوط الإمبراطورية العثمانية، ظلت تونس تحت الحكم الفرنسي حتى عام ١٩٥٦ كدولة ذات سيادة على الاستقلال. ٢٠ آدار–ملرس ١٩٥٦هو يوم حريتة

الجغرا فية في ليبيا

ليبيا أول أقاليم المغرب الممتد على البحر المتوسط غربا من مصر إلى المحيط الأطلسى، وتنقسم من قديم إلى ثلاث مناطق: منطقة مجاورة لمصر هي برقة، ومنطقة مجاورة لتونس هي طرا بلس، ومنطقة جنوبي طرابلس وصحرائها المتسعة خلف جبالها هي فزان أو منخفض فزان. وعلى طول البحر المتوسط سهل ساحلى يتراوح بين نحو ميل وعشرة أميال أو يزيد قليلا. ووراء طرابلس سلسلة جبال تسمى نفوسة غربا ويفرن فى الوسط وغريان شرقا إلى أن تنقطع عند ترهونة فى أواسط منطقة طرابلس. وتعود الجبال إلى الظهور فى ساحل برقة من قرب بنغازى إلى درنة فى أواسط منطقة طرابلس. وتعود الجبال إلى الظهور في ساحل برقة من قرب بنغازى إلى درنة شرقا وتسمى الجبال الأخضر. وتترامى وراء جبال طرابلس هضبة صحراوية متسعة بها جبال السودا، ومنذ واحة غدا مس فى الغرب تصبح منطقتها ملاصقة للجزائر حتى أقصى الجنوب، ونلتقى عنده بجمهورية النيجر. والهضبة تمتد إلى ماوراء اساحل والجبال في برقة وهى هناك رملية وتر تكز على قواعد صخرية، وفى كثير من جها تها تصبح أمواجا متلاطمة من الرمال، وتمتد إلى شرقى مصر، وتترامى وراء جنوبا حتى تتصل بالسودان فى الجنوب الشرقى، وتلا صق تشاد فى أقصى الجنوب. ومنطقة فزان فى أقصى الجنوب إلى الغرب منخفض شديد الاتساع، وأعده ذلك من قديم لتكثير فيه الواحات والوديان. وتتميز ليبيا بكثرة الواحات، وتلقانا بكثرة فى ساحل طرابلس من زواوة فى الغرب إلى مصراته فى الشرق، ونلتقى بها فى ساحل برقة عند بناغازى ودرنة، وتكثر فى الداخل، وتلقانا على حدود مصر واحة جغبوب وغربيها واحة أوجلة وواحة جالو وإلى الجنوب واحة كفرة. والواحات كثيرة أيضا فى الصحراء المترامية بمنطقة طرابلس مثل وا حة غدامس غربا وبونجيم شرقا ومزدة إلى الشمال وغات فى أقصى الجنوب، وشماليها شرقى فزان واحة القطرون.

المعيشة في ليبيا

مر بنا أن الفينيقين أقاموا فى طرابلس لتكون مر كزا لتجارتهم وأقاموا معها صبراتة غربيها ولبدة شرقيها، وبالمثل أقام الإغريق فى شرقى ليبيا سيرين، وأضافوا إليها أربعة مدن: مدينة مكان سوسة الحالية، وبرقة، ومدينة مكان طوكره الحالية، وبنغازى. وكل هذه المدن حول طرابلس وفى شرقى البلاد كانت مراكز تجارية فى العصور السحيقة، وظلت التجارة النشاط الأساس لأهلها، يتخذونها معاشا لهم طوال العصور الماضية، وأخذت تقام معها على الساحل الليبى مدن أخرى مثل زواوة غربى طرابلس وإلى شرقيها لبده وزليطن ومصراته وسرت، ومثل أجدابية وطلمثية ودرنة وطبرق فى إقليم برقة. وسكان كل هذه المدن كانوا يعنون بالتجارة وما تحمل إليهم القوافل من السودان والجنوب وما تحمل إليهم السفن من عروض البحر المتوسط شرقا وشمالا. وكانوا يعنون – إلى جانب ذلك ببعض الصناعات اليدوية وصيد البحر، ويصف ابن حوقل – فى القرن الرابع الهجرى– طرابلس قائلا : (بها من الفواكه الطيبة اللذيذة كالخوخ والكمثرى اللذين لا شبه لهما بمكان، وبها الجهاز الكثيرة من الصوف والأكسية الفاخرة الزرق والكحل النفوسية السود والبيض الثمينة) ولا يلبث أن يذكر النشاط التجارى بها قائلا: (إلى مراكب ترسو ليلا ونهارا وترد بالتجارة على مر الأوقات والساعات صباحا ومساء، من بلد الروم وأرض المغرب، بضروب الأمتعة والمطاعم) ويقول البكرى: (لطرابلس أسواق حافلة جامعة). ويضعف نشاط طرابلس التجارى حين اكتسحتها موجات الهجرة الأعرابية فى منتصف القرن الخامس الهجرى، ويعود إليها نشاطها فى التجارة مع استيلاء دولة الموحدين إليها وعودة الأمن والاساقرار إلى ربوعها، وظلت إلى اليوم أهم مدينة تجارية فى ليبيا.

التاريخ

طبيعى أن يشغف بعض العلماء فى ليبيا بالكتابة فى التاريخ الإسلامى، كما شغف به كثيرون فى البلدان العربية، ومن أوائل مؤرخيهم عبد الرحيم بن عبد الله بن أبى زرعة البرقى المتوفى

سنة ٢٥٦ للهجرة روى السيرة النبوية ومغازيها عن ابن هشام مؤرخها بالفسطاط، ويبدو أن أخاه أحمد رواها معه عن ابن هشام، ويقال إن لأحمد كتابا فى التاريخ دون إشارة إلى موضوعه، ويذكر ابن ناجى فى معالم الإيمان مؤرخين فى أجدابية، هما أبو العباس عبد الله بن عبد الرحمن الأجدابى المتوفى سنة ٣٨٤ وأبو عبد الله الحسين بن عبد الرحمن الأجدابى المتوفى سنة ٤٣٢ ونلتقى فى طرابلس بمؤرخين لها، هما الحسن بن فراج المتوفى سنة ٥٢١ وعلى بن عبد الله بن مخلوف الطرابلس المتوفى سنة ٥٣٣. ومن المؤرخين المهمين فى القرن العاشر الهجرى كريم الدين البرمو نى المصراتى المتوفى سنة ٩٩٩ للهجرة، وأبوه مصرى نزل مصراته مع الشيخ زروق فى عودته من مصر، وقد بدأكريم الدين تعلمه فى زاوية الشيخ زروق ثم تركها إلى زاوية الشيخ المحجوب، و شغف با لتاريخ وله فيه كتاب روضة الأزهار ومنية السادات الأبرار، وفيه عرف بطائفة كبيرة من الأتقياء الصالحين وبأنساب الأشراف في طرابلس وأنساب بعض القبائل العربية وله بجا نب هذا الكتاب كتاب عن عبد السلام الأسمر الصوفى معاصره المار ذكره بين المتصوفه.

المجتمع الليبى (عناصر السكان)

سكان ليبيا – منذ الأزمان السحيقة – سلالات عريقة من البربر الذين الستوطنوا قديما الشمال الإفريقى من مصر إلى المحيط الأطلسى، واختلف المؤرخون فى بيان أصل منشئهم، فمن قائل إن جدودهم ها جروا إلى بلاد المغرب من فلسطين، ومن قائل إنهم عرب هاجروا من جنوب الجزيرة: من حمير، ويقال بل إن أصلهم من عرب الشمال، ويقول الطبرى إنهم أخلاط من كنعان والعماليق وغيرهم، ويقول ابن خلدون إنهم من ولد كنعان بن حام. وعلى هذا النحو يضطرب المؤرخون فى أصلهم وهل هم من العرب الساميين أو هم حاميون أو هم من الفلسطينيين الذين أخرجوا قديما من ديارهم. ومعروف أن قبائل منهم حين اعتنقت الدين الحنيف وتعربت انتسبت إلى حمير أو إلى بعض القبائل العدنانية، وهو إحساس عميق بأنهم يرجعون إلى أصول عربية.

وليس هؤلاء السكان للشمال الإفريقى هم الذين سموا أنفسهم بربرا، إنما سماهم بذلك الرومان أخذا من الكلمة الإغريقية: (بربروس) ومعناها: الأجنبى الذى يتكلم لغة غير مفهومة، إذ كان لسان المغاربة بالقياس إلى الرمان اصواتا مبهمة لا يفهمونها، وحين فتح العرب البلاد المغربية وجدوا هذا الاسم (البربر) يطلق على سكانها، فاستخدموه، ومن الغريب أن فعل بربر فى العربية بمعنى قريب من المعنى الإغريقى، إذيراد به التمتمة فى الكلام بحيث لا يفهم.

- **الدين**

كان شأن أهل ليبيا فى العصور السحيقة شأن كل الأقاليم الغربية وثنيين يعبدون الكواكب والنجوم من مثل الشمس والقمر والكواكب السيارة جميعا ويقدمون لهاالقرابين ويقيمون لهاالمعابد. ويبدو أن اليهود لما نزلوا بديارهم منذ القرن الثالث قبل الميلاد أخذوا يحاولون نشر دينهم بين المغاربة، ويظن أن بعض جماعات منهم تهودت قديما وظلت جماعات منهم تعيش فى المدن المغربية، وجاءهم مدد جديد حين قوض الإمبراطور تيتوس معبدهم فى بيت المقدس سنة٧٠ للميلاد، ونلقاهم بعد إسلام أهل المغرب – بفضل تسامح الإسلام العظيم – منتشرين فى إقليم طرابلس: فى طرابلس نفسها وفى مصراته وسيرين، ويذكر المؤخون والرحالة حارة لهم بطرابلس، ويقال إنها كانت شديدة القذارة كما يذكرون أنه كان لهم معبد خاص.

- **الزهد والتصوف**

ازدهر الدين الحنيف فى جميع أنحاء ليبيا منذ القرن الأول الهجرى، وأخذت مساجده تبنى فى كل مكان: فى الحضر والبدو، ويرمز إلى ذلك المسجد الجامع الذى بناه فاتح ليبيا العظيم عمر و بن العاص فى طرابلس أمام باب قبيلة هوارة، وتنافس ولاة طرابلس وليبيا بعده فى بناء المساجد وخاصة ولا الدولة الأغلبية، وخلفتها الدولة العبيدية، فعنى المهدى ببناء جامعها المتسع الأعظم، وبنى ابنه القائم جامعا حسن البناء فى مدينة أجدابية. وكان الشعب يشارك فى بناء الجوامع والمساجد فاكتظت بها ليبيا، وكانت جميعا بيوتا كبرى للعبادة والنسك، وكانت حلقات الفقهاء

والعلماء فيها أشبه بمدارس للتعليم والدراسة، واشتهر كثيرون فى جميع أنحاء ليبيا بأنهم كانوا زهاد فى المتاع الدنيوى وأنهم كانوا عبادا نساكا ينتظرون ما عند الله من ثواب الآخر، ويسوق المالكى فى رياض النفوس وابن الدباغ فى معالم الإيمان والتجانى فى رحلته المشهورة وأحمد النائب فى نفحات النسرين والمنهل العذب والطاهر الزاوى فى أعلام ليبيا أسماء عشرات من زهاد ليبيا ونساكها على مر القرون.

١. النثر في ليبيا

من المؤكد أن لبيا أنتجت شعرا غير أن نثرها لم تحتفظ به الكتب إلا قليلا جدا إذا كثيرا ما نقرأ فى كتب التراجم لهذا الطرابلسى أو لهذا البرقى رسالة أو مقامة، ويكتفى بمثل هذه الإشارة ولا تذكر المقامة ولا تذكر الرسالة، وبالمثل نسمع عن هذا الفقيه الكبير أو ذاك أنه تولى قضاء طرابلس والخطابة أو تولى الخطابة بالجامع الأعظم فى تونس ولا تذكر لهذا ولا لذاك خطبة. وقد يكون من أسباب عدم الأهتمام بتسجيل فنون النثر فى طرابلس وبرقة وغيرهما من مدن ليبيا أنه لم تنشأ بها دولة ترعى الأدب وتحميه وتحدث بتشجيعها له وحاجتها إليه نهضة أدبية واسعة كما حدث فى تونس وغير تونس من البلدان العربية، ولو أنه نشأت فى طرابلس أو برقة دولة وأنشأت لها ديوان إنشاء لتألق لها كتاب نابهون يدبجون رسائل سياسية بديعة تلفت معا صريهم وتجعلهم يسجلونها لهم ولبث ذلك فيها نشأطا أدبيا جما فى النثر لا فى فن الرسائل وحده بل أيضا فى مختلف الفنون النثرية. ومع ذلك فقد بقيت من النثر الليبى قطع صغيرة وشظايا متفرقة من وصايا الفقهاء والزهاد ونصائحهم من مثل قول عبد الجبار السرتى المذكور بين الفقهاء الزهاد والمتوفى سنة ٢٨١. (من قل كلامه قلت آثامه – الصوم عن الكلام أفضل من الصوم عن الطعام – من زم (صان) لسانه كثر فى الدنيا والآخرة أمانه). وسئل الزاهد عبد الله بن إسماعيل البرقى المار ذكره والمتوفى سنة ٣١٧ عن كثرة بكائه خشية وتقوى، فقال (إنما

جعلت عيناى للبكاء، ولسان لتعظيم الله عز وجل وتحميده والصلاة على نبيه، وبدنى للتراب والبلى، وقلبى للخوف والرجاء، لم أخلق للعب ولا للهو، وإنما خلقت للعمل الصالح).

- **نشاط الشعر والشعراء**

لعل أول ما أنشد من الشعر فى ليبيا كان على لسان الشعراء الوافدين عليها مع الجند الفاتح لها وللبلاد المغربية، ونر مز لهم بالشاعر الهذلى المشهور أبى نؤيب، فقد خرج مع عبدالله بن الزبير فى جند عبدالله بن سعد ين أبى سرح إلى فتح إفريقيا سنة ست وعشرين وأعجب بشجاعة ابن الزبير حين فتك فى موقعة ضاربة بوالى البيزنطين: جريجوريوس وتسميه العرب جرجير، ومن قوله فى الإشادة ببطولته:

وصاحب صدق كسيد الضرا ء ينهض فى الغزو نهضا نجيحا

- **خليل بن إسحق**

هو أبو العباس خليل بن إسحق بن ورد، ترجم له ابن الأبار فى كتابه الحلة السيراء ترجمة ضافية افتتحها بقوله: (مولده بطرابلس وهو من أبناء جندها (أيام الأغالبة) وكان فى أول أمره يطلب العلم والأدب ويصحب الصوفية ويبيت فى المساجد) وما إن انتهى حكم الدولة الأغلبية سنة ٢٩٧ وتحولت مقاليد الحكم إلى عبيدالله المهدى الفاطمى، حتى رحل إليه وانضوى تحت لوائه، وانتقض اهل بلدته: طرابلس سنة ٢٩٩ على واليهم الفاطمى فأرسل إليهم المهدى ابنه أبا القاسم لمحاربتهم وردهم إلى الطاعة، وفى ركابه خليل، فحاصرهم أبو القاسم حتى اضطروا إلى الاستسلام، وكشر لهم خليل عن أنيابه الغليظة التى كان يخفيها، وتولى تعذيبهم، لا تأخذه فيهم — وهم أهله — شفقة ولا رحمة، وأغرمهم ثلاثمائة ألف دينار. وما توافى سنة ٣٠٢ حتى يرسل المهدى ابنه أبا القاسم الملقب بالقائم فى جيش لمحاربة أهل مصر، فلحق به خليل بن إسحق فى الإسكندرية فولاه القيام على أموال الجيش، وعاد القائم بجيشه، وعاد معه خليل، فقدم على خليل إفريقية، وجعل أمر جندها إليه مع النظر فى البحر وشئون الأسطول الفاطمى. وفى سنة

٣٢٥ ولاه القائم الفاطمى صقلية، فاستحال حاكمالها باغيا طاغيا أشد مايكون البغى والطغيان، وأهلك أهلها جوعا وقتلا وجار فيها أشد ما يكون الجور والظلم، مما جعل كثيرين من أهلها يفرون إلى بلاد الروم. وعزله الخليفة القائم عنها، وكان يقول بعد وصوله إلى إفريقية مفتخرا: (المكثر يقول إنى قتلت من أهل صقلية وأهلكت ألف ألف، والمقلل يقول ستمائة ألف). وكان حربا بالقائم أن ينزل به عقابا صارما، ولكن بدلا من ذلك أخرجه إلى مدبنة القيروان ٣٣٣ فى ألف فارس لقتال أبى يزيد الصفرى فى القيروان، فحاصره أبو يزيد فيها واعتقله وسفك دمه وصلبه. وأنشد له ابن الأبار قصيدة ومقطوعتين فى مديح المهدى الفاطمى وابنه القائم، وكأنما كان يقف شعره على مديحهما زلفى وتقريبا إليهما، والقصيدة فى مديح عبيدالله المهدى نظمها على شاكلة قصيدة مشهورة لمروان ابن ابى حفصة صاغها فى مديح المهدى الخليفة العباسى، بدأها مثلة بالتشبيب وبكاء الأطلال والديار قائلا:

قف بلمنازل واسألن أطلالهـــا ماذا يضيرك إن أردت سؤالهـــا

هل أنت أول من بكى فى دمنة درست وغيرت الحوادث حالهـــا
يا دار زينب هل تردين البـــكا عن مقلة سفحت عليك سجالها
بدلت بالإنس الخرائد كـــالدمى وحش الفلاة ظباءها ورئالهـــــا
ولقد عهدت لآل زينب حـــبرة فيها ودنيا اقبلت إقبـــالهـــــا
بيضاء ناعمة يجول وشاحهـــا وتهز دقّة خصرهـــا أكفالهـــا
ولها قوام كالقضيب وفوقـــــه جعد تصافح كفه خلخالهـــــا
وكأن فى فيهـــا بعيد رقادهـــا عسلا أصاب من السماء زلالهـــا
ولقد عصيت عواذلى فى حبهـــا والنفس تعصى فى الهوى عذالهـــا

والأ بيات تسيل عذوبة، إذ عرف خليل بن إسحق كيف يصطفى لها الألفاظ وكيف يلائم بين جرسها، ومع حلاوة الصوت، ومع تشابك الكلمات فى كل بيت، وكأن كل كلمة لبت قرينتها، واستجابت لصا حبتها وجارتها، وحقا الصور فى الأبيات ألم بها الشعراء أو طالما ألم بها الشعرا قبله، غير أنه أعاد عرضها عرضا يستهويك بصياغته ومايبث فيه من الجنا سات والطباقات. ويخرج إلى المديح منشدا.